وسائل الحجاج اللغوية في مقالات الدكتور زكي نجيب محمود

Al-Haggag's Linguistic Devices in the Essays of Doctor Zaki Naguib Mahmoud

سهام علي سعودي

جامعة عين شمس– كلية الألسن

Seham Ali Soudi

Ain Shams University
Faculty of Al-Alsun - Department of Arabic

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

تسعى الدراسة إلى بيان وسائل الحجاج اللغوية التي اعتمدها الدكتور "زكي نجيب محمود" في مقالاته، ومن خلالها تحقق الغرض الذي يسعى إليه؛ وهو إقناع المتلقي أو القارئ بما يؤمن به ويدعو إليه؛ ألا وهو رغبته في التجديد والتطوير في كل مناحي الحياة. وقد اقتصرت هذه الدراسة على عدة مقالات للدكتور "زكي نجيب محمود" من كتابه "جنة العبيط"، وعناوينها:

("البرتقالة الرخيصة"– "جنة العبيط" – "لماذا لا نخلق1" – "لماذا لا نخلق 2")؛ ولعل الرابط المشترك لهذه المقالات يظهر في دعوة الكاتب المتكررة إلى التغيير والتجديد. وهو ما تسعى الدراسة إلى إثباته وتوضيحه من خلال شرح الوسائل اللغوية الحجاجية التي اعتمدها في كتابة هذه المقالات.

وهذه الدراسة عبارة عن: تمهيد ويتضمن أهم تعريفات الحجاج، وبيان المقصود بوسائل الحجاج اللغوية، ثم ننتقل إلى محاور الدراسة؛ وهي: المحور الأول؛ ويدور حول بنية التكرار. المحور الثاني؛ ويدور حول بنية الحوار(توظيف الاستفهام). المحور الثالث؛ الروابط الحجاجية. وهناك دراسات متعددة عن الحجاج ومفهومه، وبيان الفرق بين الحجاج والمجادلة؛ ولهذا لن تكون الدراسة موضعًا لذكر هذه التعريفات، وسيقتصر الحديث على التعريفات التي تخدم البحث

Abstract:

This Research is entitled (**Al-Hajjaj's Linguistic Devices in the Essays of Doctor Zaki Naguib Mahmoud**). The research aims to demonstrate the devices that the writer employs in his essays and through which he establishes a 'Hajjajian' dialogue with the readers, for the purpose of convincing them of Al-Hajjaj's thoughts and views. These devices are represented as follows: the structure of the dialogue, and the structure of repetition which is the most utilized device, taking into consideration its great role in convincing the reader. Then, the research demonstrates the 'Hajjajian' linking devices that the writer adopts to connect the parts of the essays. This is followed by the conclusion that includes all the results achieved by the research.

المقدمة:

تسعى الدراسة إلى بيان وسائل الحجاج اللغوية التي اعتمدها الدكتور "زكي نجيب محمود" في مقالاته، ومن خلالها تحقق الغرض الذي يسعى إليه؛ وهو إقناع المتلقي أو القارئ بما يؤمن به ويدعو إليه؛ ألا وهو رغبته في التجديد والتطوير في كل مناحي الحياة. وقد اقتصرت هذه الدراسة على عدة مقالات للدكتور "زكي نجيب محمود" من كتابه (جنة العبيط)؛ وعناوينها:

("البرتقالة الرخيصة"- "جنة العبيط" – "لماذا لا نخلق1" – "لماذا لا نخلق 2")؛ ولعل الرابط المشترك لهذه المقالات يظهر في دعوة الكاتب المتكررة إلى التغيير والتجديد. وهو ما تسعى الدراسة إلى إثباته وتوضيحه من خلال شرح الوسائل اللغوية الحجاجية التي اعتمدها في كتابة هذه المقالات.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي؛ بهدف تحليل التراكيب والجمل التي اعتمدها الكاتب في مقالاته وحققت بدورها الهدف الذي يسعى إليه الدكتور "زكي نجيب محمود".

وقد سبقت هذه الدراسة بالعديد من الدراسات منها؛ دراسة بعنوان:"تقنيات الحجاج في فن المقال عند زكي نجيب محمود"، رسالة ماجستير غير منشورة للباحثة دينا محمد فهمي، كلية الألسن جامعة عين شمس 2013م. ودراسة أخرى بعنوان:"فن الحجاج في مقالة "أهو شرك من نوع جديد؟" للدكتور زكي نجيب محمود"، للدكتورة سعدية مصطفى محمد ، بحث منشور في مجلة فيلولوجي 67 يناير 2017م .

ولعل ما تميزت به هذه الدراسة عن غيرها؛ هو التركيز على الجانب اللغوي في أسلوب الكاتب؛ وبيان وسائل الحجاج اللغوية التي اعتمد عليها في حجاجه مع المتلقي. وهو ما سيظهر في ثنايا البحث.

كذلك كان الهدف من الدراسة؛ هو بيان مدى حرص الكاتب على استخدام الجمل والتراكيب ذات التأثير الشديد على المتلقي؛ والتي ظهر فيها التأثر الشديد بالقرآن الكريم أحيانًا، وفي أحيان أخرى التأثر بالشعر العربي القديم؛ كما سيظهر في الدراسة. فقد جاء تأثره الشديد بالقرآن في العديد من المواضع منها: "لقد أضلك الشيطان الرجيم فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكفارتك صيام عام وإطعام ألف مسكين"؛ ومنها: "ولولا أننا نريد بك اليسر ولا نريد العسر كان جزاؤك..."، ومثال تأثره بالشعر قوله: "فشدوه على جلمود صخر فوق الجبل"، وهو مأخوذ من بيت شعر لامرئ القيس يقول فيه:

مِكَرٍّ مِفَرٍ مُقْبلٍ مُدبر معًا كجِلْمود صخر حطه السيل من علِ

وهذه الدراسة عبارة عن: تمهيد ويتضمن أهم تعريفات الحجاج، وبيان المقصود بوسائل الحجاج اللغوية، ثم ننتقل إلى محاور الدراسة؛ وهي: المحور الأول: ويدور حول بنية التكرار. المحور الثاني: ويدور حول بنية الحوار(توظيف الاستفهام). المحور الثالث: الروابط الحجاجية.

وهناك دراسات متعددة عن الحجاج ومفهومه، وبيان الفرق بين الحجاج والمجادلة؛ ولهذا لن تكون الدراسة موضعًا لذكر هذه التعريفات، وسيقتصر الحديث على التعريفات التي تخدم البحث.

تمهيد:

الحجاج هو جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية، يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا، قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[1].

والفرق بين الإقناع والاقتناع كما يرى "شانييه chaignet" أن المرء في حالة الإقناع يكون قد أقنع نفسه بوساطة أفكاره الخاصة؛ أما في حالة الاقتناع؛ فإن الغير هم الذين يقنعونه دائمًا[2]. فالوسائل اللغوية في كل نص حجاجي، هي كما يقول د. محمد العبد: "سداه ولحمته".

إن تحليل النص الحجاجي وبيان لغته من منظور الاختيار اللفظي، والتكثيف اللغوي، وبحث العلاقة بين اللغة والتقنيات الحجاجية الموقفية؛ كالاستدراج ومحاورة المخاطب المفترض والتظاهر بالتلقائية؛ لمن مجالات البحث اللغوي الاتصالي المهمة، والتي تزيدنا معرفة بمعطيات مفيدة عن النص الحجاجي[3].

فاللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية؛ أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية.[4] فالحجة عبارة عن عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد ترد في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص. وقد تكون مشهدًا طبيعيًا أو سلوكًا غير لفظي[5].

وهناك من نظر إلى الحجاج بكونه إنتاج متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج. وبهذا فإن الحجاج تؤديه مكونات لغوية هي

روابط أو عوامل أو صيغ تصلح فضلًا عن محتواها الإخباري لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المخاطب في هذا الاتجاه أو ذاك[6]؛ فالحجاج يرمي دائمًا إلى إقناع الغير[7].

المحور الأول: بنية التكرار(التكرير).

لقد كان ابن الأثير(ت 637هـ) ممن اهتموا بالحديث عن التكرار وفائدته في الكلام؛ فذكر أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا له وتشييدًا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك[8].

كما يُعد التكرير من البنى اللغوية التي يغلب وقوعها في النص الحجاجي العربي والتي تزوده بأدوات مهمة في الإقناع والاستمالة؛ مما يجعله متمايزًا عن أنواع النصوص الأخرى[9].

ومن المؤكد أن التكرار يحقق التماسك المعجمي في النص، والذي يستلزم تكرار المادة المعجمية[10].

وهو ما أكده "فان دايك" بقوله: "إن تكرار المفاهيم الأساسية يدعم تماسك النص"[11].

كما يمثل التكرار ظاهرة لغوية مقامية، ودليل ذلك تكرار المعنى في مقام الاعتذار والتنصل قصدًا إلى التأكيد والتقرير لما ينفي عن المتكلم ما رمى به [12].

من ناحية أخرى؛ ذكر ابن الأثير(ت 637هـ) أن التكرار قد يأتي لما أهم من الأمر، وذلك بصرف العناية إليه ليثبت ويتقرر[13].

ويقول د. محمد العبد نقلًا عن "باربرا جونستون": "إن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوي الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة وتسمي "باربرا" هذه الاستراتيجية البلاغية؛ استراتيجية الإقناع بالتكرير[14]. وقد عرّف التكرار بأنه تكرار نقطتين مرجعهما واحد، ومثل هذا التكرار يعد ضربًا من ضروب الإحالة إلى سابق؛ بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول؛ ومن ثم يحدث التماسك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار[15].

ومن أبرز تعريفات التكرار ما ذكره "دي بوجراند" و"دريسلر"؛ بأنه تكرار نفس الكلمات أو التعبيرات بشكل ملحوظ[16]. وتتمثل درجات التكرار فيما يلي: تكرار تام (إعادة العنصر المعجمي نفسه)– الترادف أو شبه الترادف– الاسم الشامل– الكلمات العامة[17].

من ناحية أخرى فقد يتحقق التكرار التام أو الجزئي على مستوى اللفظة المفردة: (اسم – فعل – حرف)، وقد يكون على مستوى العبارة أو الجملة الواحدة، وهو ما ظهر بشكل واضح في مقالات الدراسة.

وفي كثير من المواضع لوحظ وقوع التكرار التام والجزئي للفظة الواحدة؛ بل أحيانًا وقع التكرار التام للجملة بأكملها.

ومن أمثلة التكرار الشكلي للألفاظ مع وقوع بعض التغييرات وهو ما يعني ذكر اللفظة بمشتقاتها المختلفة ما جاء في قول الكاتب:(فلا عطف ولا عاطفة – حتى إحسان المحسن– أعبر عن الرؤيا فأحسن التعبير – يغيظني ولا أحتمل الغيظ – وهنا نقر الباب نقرة خفيفة – ثم جلس ونظر إلي نظرة – وابتسم ابتسامة خفيفة– مط شفتيه مطًا– الإفك إفكًا– أقبح من هذا المجون مجونًا)؛ فهذا قطرة من غيث من نماذج التكرار التي وقعت

في مقالات الدراسة؛ ففي كثير من النماذج السابقة جاء المصدر متبوعًا بصفة؛ استخدام المصادر ومشتقات الأفعال في مواضع كثيرة من مقالات البحث يكمن في رغبة الكاتب التأكيد على فكرة معينة؛ والتي يريد إقناع المتلقي بها.

فالكاتب يشعر بالحسرة والسخط على الوضع الذي يوجد عليه المجتمع؛ فهو يرى أن مقياس تقدير الأمور في المجتمع بحاجة إلى التغيير كالكثير من الأمور التي يجب أن ينالها التغيير. وفي بعض المواضع حرص الكاتب على ذكر لغة الجسد(اللغة غير المنطوقة) كما في قوله: "مط شفتيه مطًا– ابتسم ابتسامة خفيفة"؛ فمن خلال هذا الوصف يدرك القارئ مدى الحسرة والألم الذي يريد الكاتب الإشارة إليه.

ومن نماذج التكرار أيضًا؛ التكرار على مستوى التركيب للجملة؛ فنجد قوله:(كن عندهم فقيرًا ما شئت– أو كن عندهم غنيًا ما شئت – كن عندهم جاهلًا)؛ فقد تكرر فعل الأمر (كن) مع تقديم الظرف؛ وهذا غرضه التأكيد وإقناع المتلقي برأيه وفكره. ومن أمثلته أيضًا:(أما العبيط فهو أنا– أما جنتي فهي أحلام نسجتها على مر الأعوام)، (إننا لا ننقد العلماء لأننا...لكننا ننقدهم، ننقدهم لأنهم يخلقون ونحن لا نحب الخالقين، ننقدهم لأنهم قادرون ونحن لا نحب القادرين، ننقدهم لأنهم لم يستسلموا للعجز ونحن إنما نحب العاجزين)؛ فالكاتب يرغب في إحداث ثورة تغيير في المجتمع وتحويله إلى مجتمع متقدم ومتطور وسابق لغيره من المجتمعات ؛ وهو ما يؤكده قوله: "ونحن لا نحب القادرين ونحن لا نحب الخالقين" والتقرير وهو ما يؤكده قوله:" إنما نحب العاجزين"، وقد تحقق ذلك باستخدام (إنما) التي تفيد التأكيد على رأي الكاتب في مجتمعه الذي يعيش فيه، ورغبته في تغيير هذا المجتمع.

ويقول الدكتور عبد الله صوله: "إن من طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًا هو اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها"[18].

ومن الجدير بالذكر؛ وقوع التكرار ليس فقط على مستوى اللفظة الواحدة أو الحرف؛ وإنما قد وقع على مستوى العبارة بأكملها؛ ففي بعض المواضع تكررت عبارة واحدة بأكملها دون وقوع تغيير فيها.

ومن أمثلة ذلك قوله: "ولست أريد أن أزيد من يأسك، وإلا لذكرت لك حقيقة مروعة ستهولك، وتشيع الحسرة في نفسك"؛ هذه العبارة تكررت أكثر من مرة في مقالة "لماذا لا نخلق 1".

ومن أمثلة ذلك قوله في مقالة "لماذا لا نخلق 1": "إن الإنسان حيّ بمقدار ما هو مبدع خلاق، والأمة تسري فيها الحياة بمقدار ما هي قادرة على الخلق والإبداع؛ ثم أعود فأزعم أننا لا نكاد نخلق شيئًا واحدًا جديدًا في الأدب أو العلم أو الفلسفة أو الفن".

وتكرار مثل هذه العبارات يؤكد قول "باربرا جونستون" بأن تكرار الشيء واستحضاره أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره؛ ولعل هذا هو ما يرغب به كاتبنا المولع بالتغيير في المجتمع.

فكاتبنا يريد تحفيز المتلقي(القارئ) إلى التغيير، وإحداث التقدم والرقي والنهضة بالمجتمع في جميع مجالاته والتي عدّدها في عباراته السابقة مستخدمًا أداة العطف (أو).

ولعل وقوع التكرار في بعض المواضع متصلًا فيه الفعل بكاف الخطاب مثال قوله: "وإني أعيذك"؛ مما يجعل القارئ طرفًا في عملية الكتابة وكأنه مشاركًا للكاتب في حواره ومقالاته؛ لعل هذا هو ما ساعد على إنجاح العملية التواصيلية التي تقام مع المتلقي[19].

تكرار المعنى (المضمون):

ويكون من خلال تكرار مكونات لغوية مترادفة ومشتركة في جزء من المعنى[20].
وقد كثر مجيء هذا النوع من التكرار في مقالات البحث؛ حيث جاءت الألفاظ المترادفة معطوفة بحرف العطف (الواو) ومثال ذلك: "يكيل له أولو الأمر المدح والثناء"، "ينبعث منها القنوط وخيبة الرجاء"، "خلاعة وإفك ورذيلة ومجون"، "العقم والجمود"، "يعبسوا ويقطبوا الجبين"، "خليط وفوضى"، "إن هذا الإنسان مخلوق ضعيف متهافت هزيل"، "أن يحزن لمنظر بائس جائع يجمع الفتات من ثنايا القمامة والروث والطين"، "ألا يأخذك يا صاحبي الهم والغم والحزن"، "فلا ترى إلا جدبًا ونضوبًا وعقمًا وجمودًا"، "سيادة وعزة وطموح"، "بحث ودرس ومحّص"، "دوّن نتائج بحثه ودرسه وتمحيصه".

يتضح فيما سبق من نماذج دارت على لسان الدكتور "زكي نجيب محمود" ما يلي:

- إن التكرار سمة بارزة عند الكاتب سواء على المستوى الشكلي (اللفظي) أم على مستوى المعنى (المضمون)، وكثير من الألفاظ التي وقعت مترادفة جاءت معطوفة بحرف العطف(الواو) وهذا بغرض تأكيد أفكاره وإقناع المتلقي بها.

كثير من هذه الألفاظ جاءت إما أعم وأوسع في المعنى من المعطوف عليها أو العكس. ومثال ذلك العطف بين (القنوط وخيبة الرجاء)؛ يقول ابن منظور (ت 711هـ): "القنوط: اليأس. وفي التهذيب: اليأس من الخير. وقيل: أشد اليأس من الشيء"[21]. ويقول ابن منظور في تفسير معنى (خيب): "خيب: خاب يخيب خيبة: حرم ولم ينل ما طلب. والخيبة: الحرمان والخسران"[22]. فالإنسان الذي يفشل في تحقيق ما يريد وما يتمنى يشعر باليأس والقنوط.

ومن النماذج أيضًا العطف بين (الهم، والغم، والحزن) يقول ابن منظور: "الغم: واحدًا الغموم. والغم والغُمة: الكرب. قال أبو عبيد: "مجازها ظلمة وضيق وهمٌ"، "همم: الهم : الحزن وجمعه: هموم". وقال ابن السكيت: "الهم من الحزن"[23].

مادة(ح ز ن): يقول ابن منظور: "حزن: الحزن نقيض الفرح ، وهو خلاف السرور".

فالهم ينتج من الكرب الذي بدوره يسبب الحزن. وهو من نماذج العطف بين المترادفات.

- ومن أمثلة العطف بين المترادفات قوله: "فلا ترى إلا جدبًا ونضوبًا وعقمًا وجمودًا".

يقول ابن منظور: "الجَدْبُ: نقيض الخِصْبُ وفي حديث الاستسقاء: هلكت المواشي وأجدبت البلاد؛ أي قحطت. والجدبة: الأرض التي ليس بها قليل ولا كثير ولا مرتع ولا كلأ"[24].

وفي تفسير (نضوبًا) يقول ابن منظور: "نضب الشيء: سال ونضب الماء ينضب بالضم نضوبًا، ونضّب إذا ذهب في الأرض، وفي المحكم: غار وبعد"[25].

وقوله(عقمًا) يقول فيه ابن منظور: "عقم: العَقم والعُقم بالفتح والضم: هرمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد.ويقال: والدنيا عقيم أي لا ترد على صاحبها خيرًا "؛ ولعل هذا هو المعنى الذي يقصده كاتبنا حين عطف كلمة (عقمًا) على كلمة (الجدب والنضوب). وكأنه أراد القول بأن المجتمع الذي لا يتطور لا روح فيه ولا حياة؛ مجتمع بلا أهداف أو طموحات هو أجدب عقيم لا فائدة منه.

وفي تفسير(جمد) يقول ابن منظور: "جمد الماء والدم وغيرهما من السيالات يجمد جمودًا وجمْدًا إذا يبس".

(فالجدب والنضوب والعقم والجمود) ألاحظ فيها التدرج من الكاتب في وصف الوضع الذي يوجد عليه مجتمعه من انعدام الابتكار والتطور والتجديد؛ فبدأه بالجدب ولها علاقة بالأرض وما يخرج منها من كلأ ثم يصل إلى الجمود الذي يدل على الماء

الذي تحتاجه الأرض لترتوي ويخرج منها هذا الكلأ. وأكد هذا بالربط بينهم بأداة العطف(الواو).

- ومن نماذج تكرار المضمون بدون عطف أو رابط قوله: "فالبرتقالة أمينة صريحة صادقة"، "إن هذا الإنسان مخلوق ضعيف متهافت هزيل". كلها دلالات متقاربة في المعنى، كان من الممكن الاقتصار على واحدة منها؛ ولعل غرضه من هذا التأكيد والتوضيح.

المحور الثاني: بنية الحوار(توظيف الاستفهام).

إن الحوار هو أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحجاج بامتياز[26]؛ فالطابع الحواري للنص يكسبه قوة حجاجية عالية[27].

كما أن الحوار هو أكثر أنماط الكلام طبيعية، وهو لذلك قادر على مزج الوصف بالتفسير والإخبار بالحجاج؛ بل لعل الحوار مؤهل لاستيعاب أنماط قولية مختلفة أكثر من غيره من النصوص لأنه متعدد المنشأ؛ أي لا يصدر عن ذات واحدة[28].

والطريف في الحوار أنه يبني الوصف والقص والحجاج بناءً تدريجيًا أشبه بالبناء الشعري؛ حيث ينمو الحوار تبعًا للحرية التي تتمتع بها الشخصيات فتنتقل من الاستخبار إلى القص فالجدال[29].

وهناك من عرّف الحوار بأنه أسلوب لغوي من الأساليب السياقية وبه يصل المتحاورين لموضوع الكلام وصلًا علميًا مباشرًا، ويرسخه في أذهانهم ترسيخًا؛ لأنه ضرب من الإثارة التي ستتبع الانتباه[30]. كما أن للحوار علاقة بالإقناع الشفوي ولذلك فهو ذو طبيعة بلاغية خطابية[31].

والحوار غالبًا ما يكون في صورة سؤال وجواب؛ ولهذا عُرف الاستفهام بأنه تركيب نحوي غرضه طلب الفهم أو طلب معرفة الخبر[32].

وهنا يجب التمييز بين نوعين من الاستفهام: أولهما؛ النوع الذي يمكن تسميته بالاستفهام الحجاجي وهذا النوع(النمط) من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمته الحجاجية على أنه يتجه وجهة القول المنفي؛ فجملة مثل: هل أنت حزين؟ قد تكون مرادفة في بعض السياقات لجملة" لست حزينًا" أو "لا يمكن أن تكون حزينًا".

والنوع آخر ؛ الاستفهام العادي الذي يقصد المستفهم من ورائه إلى صدق الخبر أو كذبه، ولكن هذا النوع قد يوظفه المتكلم ويصبح بالتالي عنصرًا من عناصر العلاقة الحجاجية، وسيكون له إذ ذاك بُعد وطابع حجاجي[33].

وهناك من ميّز بين الاستفهام والسؤال وهو ما ذكره د. محمد العبد نقلًا عن "هدلستون" بقوله: "الاستفهام مقولة من مقولات الشكل النحوي، والسؤال مقولة من مقولات المعنى؛ حيث يقف الاستفهام في مقابل الإعلان والأمر ؛ أما السؤال فيتعين طائفة من الإجابات"[34].

وبالنظر إلى مقالات الدراسة يلاحظ اعتماد الكاتب بشكل كبير على الحوار مع المتلقي وتوجيه الأسئلة له؛ والتي جاءت في كثير من المواضع غرضها الاستنكار والتوبيخ أحيانًا أو التقرير أحيانًا أخرى.

وغني عن البيان أن التعبير بالأسلوب الاستفهامي المضمن معنى العرض أو الاقتراح يعني أن المتكلم لا يحاول أن يفرض رغبته على المستمع؛ بل يحاول أن يوجه اهتمامه إلى شيء يستحسن فعله[35].

ومن الملاحظ مجيء عناوين بعض المقالات في صورة استفهامية؛ مثل: مقالة "لماذا لا نخلق 1"، ومقالة "لماذا لا نخلق 2"؛ ولعل هذا الاستفهام غرضه التعجب والاندهاش من واقع مجتمعه والاستسلام لكل ما يؤخذ وينقل عن الآخرين ؛ وعدم الرغبة في التغيير والتطور.

ومن نماذج الاستفهام التي اعتمدها الكاتب في مقالاته؛ الاستفهام الاستنكاري الذي جاء محملًا بالحسرة والألم من الكاتب على حال مجتمعه. ومثال ذلك قوله: "أفبعد هذا كله يستخف بقدرها الفاكهاني، فيقذف بها قذفًا مهملًا في الأوعية والسلال؟ أفبعد هذا كله تقوم البرتقالة في سوق الفاكهاني بمليمين، وتقدر التفاحة بالقروش؟!".

فتكرار همزة الاستفهام مع ما دخلت عليه؛ يبن مدى الحسرة التي يمتلأ بها قلب الكاتب على الوضع الذي يعيشه مجتمعه من تأخر وركود.

وفي بعض المواضع جاءت خاتمة المقال في صيغة استفهامية، مثال ذلك قوله: "فمتى، متى يا رباه يعرف الفاكهاني لهذه البرتقالة المسكينة قدرها ؟!"؛ فتكرار أداة الاستفهام مدعومة بالدعاء والتضرع لله مع استخدام الأسلوب غير المباشر في التعبير عما يدور بداخله؛ ساعد ذلك على بيان مدى سخط الكاتب على الحالة التي يعيشها المجتمع وضرورة تغييرها.

ومن نماذج الاستفهام التي جاءت في إطار الحوار الذي يقيمه الكاتب مع القاريء قوله: "ألا يأخذك يا صاحبي الهم والغم والحزن أن تتلفت فلا ترى إلا جدبًا ونضوبًا وعقمًا وجمودًا؟".

ستقول: "وماذا تريد من الأديب أن يصنع سوى أن يكتب أفكارًا كثيرة في لغة جميلة لكي يجيء ما كتبه مقالة أدبية ممتازة ، وليس لي جواب عن سؤالك إلا أن أشير عليك بقراءة المقالة الأدبية".

هذا حوار دار بين الكاتب والقارئ الذي يفترض الكاتب أنه جالس أمامه يحاوره، وهنا يتحقق ما دعا إليه الكاتب بضرورة التغيير في كتابة المقال بغرض القضاء على الرتابة والملل وجذب القارئ من خلال عمل حوار معه ومشاركته الرأي من خلال طرح الأسئلة التي تحتاج إلى جواب في كثير من الأحيان.

ومن نماذج الحوار أيضًا قوله: "ربما رأيت ذلك كله فصحت لنفسك في إعجاب: أما والله إن منا لعلماء ومعلمين ومتعلمين، أين الفرق– إذا– بيننا وبين بلاد الغرب التي سارت بذكرها الركبان؟".

" فلماذا لا نخلق ولا نبتكر؟ هذا هو السؤال الذي ألقيته في ختام المقال السابق". "أفنحن بعد ذلك مصدقون لما يذيعه المعجبون بهذه البلاد وأصحابها؟ فقلت له: لا تخلط يا صديقي بين الإبداع والتقليد".

لعل تبادل الرأي وقيام الحوار بين طرفي الحديث وتنوع الضمائر المستخدمة بين ضمائر خطاب ومتكلم وغيبة من الأمور التي ساعدت على جذب المتلقي ولفت الانتباه لأهمية مثل هذه القضايا التي يثيرها الكاتب في مقالاته.

المحور الثالث: الروابط الحجاجية.

تشتمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية [36].

فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح وتسند لكل قول دورًا محددًا ومنها: (لكن– حتى– بل– لا سيما– لأن)[37].

فالخطاب الحجاجي يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية؛ وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها [38].

(حتى– بل– لكن) من الروابط التي تدرج حججًا قوية [39]. وهذا يؤكد القول بأن الحجاج تؤديه مكونات لغوية هي روابط أو عوامل أو صيغ تصلح فضلًا عن محتواها الإخباري لإعطاء توجيه حجاجي للقول، وتوجيه المخاطب في هذا الاتجاه أو ذاك [40].

(لكن): رابط حجاجي يرد داخل كل مقطع يحقق الانسجام الحجاجي ويحقق قدرًا كبيرًا من الانسجام والاستقلال الذاتي. فطبيعة الربط الحجاجي الذي تقوم به الأداة (لكن) يشير إلى أن الدليل الذي يرد بعد (لكن) يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبلها وتكون له الغلبة. ويمكن التعبير عن هذه العلاقة بهذا الشكل: "أريد أن أعيش حياة كريمة، ولكن أخاف أن أعاقب على ذلك"[41].

وفي مادة البحث لوحظ كثرة استخدام هذه الأداة بالنسبة لبقية أدوات الربط الأخرى. فقد ورد ذكرها ما يقرب من عشرين مرة؛ جاءت فيها هذه الأداة مضافة إلى ياء المتكلم تارة (لكني)، وتارة أخرى جاءت متصلة بهاء الغيبة (لكنه) وأحيانًا أخرى جاءت متصلة بكاف الخطاب (لكنك) . وفي بقية المواضع جاءت على صورتها الأصلية(لكن).

ومن المواضع التي ذكرت فيها ما يلي من قول الكاتب: "لم أكن أعلمها من قبل، ولكن أتبين الآن أنها حق"، " فهم يتحدثون عن الفضيلة لكنها تعني عندهم شيئًا عجيبًا"، "كن عندهم جاهلًا ما شئت أو كن عندهم عالمًا ما شئت، لكنك إنسان. كن عندهم ضعيفًا ما شئت أو كن عندهم قويًا ما شئت لكنك إنسان"؛ لعل تكرار النمط التركيبي للجمل السابقة مع استخدام فعل الأمر(كن) من الأمور التي ساعدت على تقوية الحجة والبرهان ودعم رأي الكاتب لدى المتلقي.

وفي بعض المواضع استخدم الكاتب الأداتين (بل– لكن) في موضع واحد. وذلك في قوله: "نحن لا نخلق جديدًا، ولا نريد أن نخلق جديدًا؛ بل يسيء إلينا أن نسمع

عن إنسان أو عن أمة أنها تحاول أن تخلق جديدًا؛ لكن الحياة معناها القدرة على خلق الجديد"؛ فقد جاء بعد (لكن) الفكرة التي يدعو إليها الكاتب وأراد تقريرها في ذهن المتلقي. وهذا يؤكد قول "سيبويه" (ت 180هـ) بأن لكن يثبت بها النفي؛ فإن قلت: "ما مررت برجل صالح، ولكن طالح"؛ أبدلت الأخير من الأول فجرى مجراه. في حين أن قولنا: "مررت برجل صالح ولكن طالح"؛ هو محال لأن (لكن) لا يتدارك بعد إيجاب، ولكن يثبت بها النفي[42].

ومن ناحية أخرى؛ ظهرت العديد من تقنيات الحجاج البلاغية في مقالات البحث، والتي جاءت بغرض إظهار الدلالة وتقوية المعاني التي يريد الكاتب توصيلها للمتلقي، ومن هذه التقنيات "بنية التجنيس"؛ مما لا شك فيه أن بنية التجنيس بما فيها من توافق صوتي وتجانس لفظي تسهم في بناء الدلالة، وتشير إلى أن تشابه الأصوات يوحي بطريقة ما إلى تشابه المعاني؛ ومن ثم تكون له وظيفة حجاجية في المعنى الذي يريد المتكلم عرضه والإقناع به[43].

فالجناس بأنواعه المتعددة من تامة وناقصة وزائدة؛ يتمثل في تكرار الملامح الصوتية ذاتها في كلماتها وجمل مختلفة بدرجات متفاوته في الكثافة، وغالبًا ما يهدف ذلك إلى إحداث تأثير رمزي عن طريق الربط السببي بين المعنى والتعبير؛ حيث يصبح الصوت مثيرًا للدلالة، كما هو الحال في الجناس الناقص؛ حيث يتمثل في ظهور كلمات مختلفة لكنها ذات نسيج صوتي متشابه بالرغم من معانيها المتغايرة، وهو شكل بلاغي أثير لدى الكتاب الذين يتلاعبون بالتصورات ويعتمدون على المهارة اللغوية[44].

ومن نماذج الجناس النافص في مقالات البحث قول الكاتب: "ينعم في غفوته بحلاوة غفلته"، "ينتمي– يحتمي"، "فلا عطف ولا عاطفة، "فصحت وصحوت"، "الحابل والنابل"، "وقالت في نبرة كلها مرارة ونظرة تشع منها الحرارة". وغيرها كثير من الأمثلة التي يظهر فيها مهارة الكاتب اللغوية التي يستخدمها في إقناع المتلقي والتأثير فيه.

خاتمة البحث:

توصل البحث إلى عدة نتائج، هي:

- كثرة الضمائر المستخدمة في مقالات البحث وتنوعها بين ضمائر المتكلم والخطاب، ونادرًا ما تأتي ضمائر غيبة وهذا يدعم رأي الكاتب بأن المقال لا بد أن يشكل حوارًا بينه وبين المتلقي؛ واستحضار الكاتب للمتلقي أمامه وإقامة حوار معه.
- ياء المتكلم جاءت بكثرة واضحة في مقالات الدراسة؛ خاصة أن الكاتب يجعل نفسه طرفًا في الحوار القائم مع المتلقي.
- مشتقات الأفعال تظهر بكثرة أيضًا؛ فالكاتب يعتمد على استخدام مشتقات الفعل الواحد: (اسم الفاعل – اسم المفعول– صيغة المبالغة)؛ وهذا رغبة من الكاتب في الإحاطة بالمعنى وتأكيده: (تآمرت– مؤامرة– المتآمر)، (تخلق– خلقها– الخالق).
- الاعتماد على التكرار سواء أكان على مستوى اللفظة الواحدة في إطار الجملة الواحدة أم تكرارها على مستوى العبارة بأكملها. وفي مواضع أخرى يتم التكرار على مستوى الفقرة بأكملها؛ ولا يخفى ما في هذا من دلالة التأكيد على فكره الذي يسعى إلى إقناع المتلقي به وإثبات صدق ما يدعو إليه.
- التأثر الشديد والواضح بالقرآن الكريم؛ فيقول: "يؤمن الناس بأن الليل لا ينبغي له أن يسبق النهار ولا الشمس أن تدرك القمر وأن كلا في فلك يسبحون"، "لا يسمن ولا يغني من جوع"، "النفس الأمارة بالسوء"، "دعهم يحلقون فوق رءوسنا طيرًا أبابيل ترمينا بحجارة من سجيل".

ومثال تأثره بالشعر قوله: "كما أن الصقر الهرم تفغو عيناه، فيتوهم أن بغاث الطير تخشاه...."، وقد تأثر في ذلك ببيت شعر من كتاب أبي هلال العسكري جاء فيه:

بُغاث الطير أكثرها فراخًا وأم صقر مقلات نزور (45)

- اعتمد الكاتب في كثير من المواضع على الاستفهام الذي يحمل معنى العرض؛ ومن أمثلة ذلك: "لماذا لا نخلق ولا نبتكر؟" وقد أجاب الكاتب عن هذا السؤال بقوله: "لماذا لا نخلق ولا نبتكر؟ هذا هو السؤال والجواب عندي هو أننا لا نخلق ولا نبتكر لأن لنا أخلاق العبيد". ولا يخفي في كثرة استخدام الاستفهام من مشاركة فعالة للمتلقي في نص المقال.

الهوامش:

[1] – د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، 1426هـ_2005م، القاهرة، ص189.

2 – د. عبد الله صوله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس الطبعة الأولى، 2011م ص15.

3 – انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 229 :230.

4 – د. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، مطبعة العمدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1426هـ– 2006م ص8.

5 – انظر: المرجع السابق، ص 18.

6 – د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، 2013م، ص 98.

7 – د. عبد الله صوله، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2007م، ص 26.

8 – ابن الأثير (ضياء الدين ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم: د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، القسم الثالث، ص 4 :5.

9 – انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص23.

10 – M.A.KHAllday,Ruqaiya Hassan,Cohesion inEnglish,p276.

11 – Robert–AlainDeBeaugrand,Introduction to text linguistics.p54.

12 – انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 232.

13 – انظر: ابن الأثير ، المثل السائر، ص.

14 – انظر: المرجع السابق، ص 233.

15 – د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص 80:79.

16 – Robert Alain De Beaugrand ,p.54:55.

17 – انظر: هاليداي ورقة حسن، ص 279.

18 – د. عبد الله صوله، في نظرية الحجاج؛ دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع ، تونس، الطبعة الأولى، 2011م، ص 35.

19 – انظر: د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 51.

20 – انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 240.

21 – ابن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، مادة (ق ن ط)، الجزء (12).

22 – ابن منظور، مادة (خ ي ب)، الجزء(5).

23 – ابن منظور، مادة(هـ م م)، الجزء (14).

24 – ابن منظور، مادة (ج د ب)، الجزء(3).

25 – ابن منظور، مادة (ن ض ب)، الجزء(14).

26 – د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 53.

27 – انظر: المرجع السابق، ص.53

28 – د. عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسات تطبيقية ، دار محمد علي الحامي، تونس، الطبعة الأولى، 1998م، ص 71.

29 – انظر: د. عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسات تطبيقية، ص 71.

30 – عبد الرحمن بودرع ، منهج السياق في فهم النص، مقال منشور في كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف القطرية، العدد 111، السنة السادسة والعشرون، الطبعة الأولى، 2016–1427هـ، ص 52.

31 – د. السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، ص 207.

32 – انظر: د. عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، ص 488.

33 – انظر: د. أو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج ، ص 58.

34 – انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص 316.

35 – انظر: المرجع السابق، ص 330.

36 – انظر: د. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26.

37 – انظر: المرجع السابق، ص 27.

38 – انظر: المرجع السابق، ص 17.

39 – انظر: المرجع السابق، ص 30.

40 – د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى،2013م، ص 98.

41 – انظر: د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص 44 :45.

42 – انظر: سيبويه (ت180هـ)، الكتاب، الجزء الأول، ص 252.

43 – د. إبراهيم عبد المنعم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ– 2007م، ص 108.

44 – د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى، 1996، القاهرة، ص273: 274.

45 – أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق : علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1371هـ– 1952م، ص100.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا– المصادر:

- القرآن الكريم.
- زكي نجيب محمود، جنة العبيط، طبعة 2019م مؤسسة هنداوي.

ثانيًا– المراجع:

- د. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، ، 2010م.
- د.إبراهيم عبد المنعم، بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجًا، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ/ 2007م.
- أبو هلال العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر) تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1952م.
- د. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
- سيبويه ت(180هـ) (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب.
- د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى، 1996م.
- د. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، دار الفارابي، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، 2007م.
- .....في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011م.
- د. عبد الرحمن بودرع ، منهج السياق في فهم النص ، مقال منشور في كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف القطرية العدد 111، السنة السادسة والعشرون، الطبعة الأولى، 2016م.
- د. عبد الوهاب الرقيق، في السرد دراسات تطبيقية، دار محمد علي الحامي، تونس، الطبعة الأولى، 1998م.

- د. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، 2013م.
- ابن الأثير (ضياء الدين) (ت 637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم: د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- د. السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، 1998م.
- د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، 2005م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ت 711هـ ، لسان العرب، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى، 1987م.

ثالثًا– المراجع الأجنبية:

- Robert Alain DeBeaugrand ,Wolfgang Dressler, Introduction to text linguistics

M.A.K Halldaym,Ruqaiya Hassan, Cohesion in English.